لو طلب إلينا تعريف عصرنا بكلمة موجزة لقلنا باختصار إنه عصر العلوم والتقنيات الحديثة وما يرافقها من تطورات سريعة ومذهلة في مختلف مجالات الحياة، ولم يقتصر التقدم العلمي الذي نشهده على علم معين أو مجال محدد، بل كانت له صفة الشمولية، ووصلت نتائجه وتأثيراته لكل أرجاء المعمورة، والتي أضحت بدورها قرية صغيرة ليس أكثر، لقد صار نتاج الحضارة جزءً لايتجزأ من حياتنا اليومية، وأصبحنا نراه أينما وجهنا أنظارنا، ولا نملك إلا أن نقول : الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم.

لقد كان من نتائج هذه التطورات الهائلة حدوث نوع من الترابط فيما بين كافة أنواع العلوم، وانعكس أي تقدم في مجال ما على كل المجالات الأخرى، فمثلا انعكس التطور الذي نشهده في علوم الحاسوب (الكمبيوتر) على علوم الهندسة والفضاء والزراعة والصناعة، ولم يكن الطب بعيدا عن ذلك.

إن الطب بمفهومه الواسع هو في الحقيقة في قلب ما تشهده البشرية من تقدم، أي إنه في مقدمة العلوم المتسارعة التطور كونه يتعلق بصحة الإنسان وحياته، ودوره في حياة المجتمعات البشرية لايُنْكَر، ولقد كان اختيار مجلة العلوم والتقنية لموضوع الطب والحياة ليس صدفة ولا حالة اعتباطية، وإنما إقتناعاً بأن الطب وعلومه ليس حصراً على الأطباء، ومن يعمل في مجال الطب، بل هو حق للجميع، ولكل إنسان حقه في أن يعلم شيئاً عن تلك العلوم على قدر رغبته وحاجته، ويطلع على التقدم الذي يحدث بها.

إن لكل مجتمع خصوصية معينة، وربما يكون من ميزات مجتمعنا هو أن فئة الاعمار الصغيرة تشكل الشريحة الأكبر منه، وهذا ما استدعى تركيزمقالات المجلة هذه المرة ـ إلى حد ما ـ على الموضوعات الطبية التي تتعلق بالأطفال وحديثي الولادة، لما لهذا الأمر من أهمية في نشر التوعية حول قضايا ـ ربما ـ تشغل بال الكثيرين .

إن الوراثة وعلومها كجزء من الطب ترتبط بشكل وثيق بطب الأجنة والولدان والأطفال، ناهيك عن دورها الذي لايستهان به في عالم الطب الكامل، بل إنها تشكل حجر زاوية أساسي في طب المستقبل، والتطور الذي تشهده علوم الوراثة يسير بوتائر متسارعة، ويبشر بآمال واعدة كثيرة إن شاء الله، وعليه فإن مقالاً يتعرض لكيفية توريث الصفات يبدو مهماً لتعريف القارىء بالنظريات التي تتناول هذا الموضوع ومدى تطابقها بالوراثة عند الإنسان.

سيتناول هذا العدد والذي يليه عدة مقالات عن الطب والحياة، وما حدث من تطور في هذا المجال، خاصة بعد ظهور التقنيات الحديثة وتطبيقاتها في الطب، وسيتم التركيز على طب الأطفال في هذا العدد لما له من أهمية خاصة، وذلك كما يلي:-

● الوراثة والطب

إن مشروع الموروث ـ الجينوم (Genome) ـ البشري والذي يهدف إلى تحديد التسلسلات الدقيقة الموجودة في الصبغيات (الكروموزومات) البشرية، ورسم خارطة دقيقة لها، والذي من المتوقع أن يتم الإنتهاء منه في غضون سنوات قليلة يعد ثورة بحد ذاته، ومنذ أشهر قليلة أعلن العلماء أن الفرق العلمية العاملة في هذا المشروع في الولايات المتحدة وأوربا واليابان قد أتمت الحصول على التسلسلات من الصبغي رقم (٢٢)، وبذلك يكون أول فصل من الموسوعة المرتقبة قد انتهى العمل منه، تلك الموسوعة التي ستبنى عليها تطبيقات عملية أكثر مما نتخيل بكثير .

إن الآفاق التي فتحها ذلك التطور بعلوم الوراثة قد جعلت منها فنا سريريا وأطلقتها من عقالها، وأصبحنا نرى العديد من الناس الذين يبحثون وبلهفة عن المعلومات الوراثية، وأيضا الذين يتجهون لإجراء الاستشارات الوراثية والعمل بمقتضاها، عدا الأسئلة الكثيرة التي تدور في أذهان الكثيرين، وربما لاتجد أجوبة شافية لها إلا في علم الوراثة.

ومادامت نزهتنا ستجرنا للخوض في علوم الوراثة، فلابد لنا من الإبحار قليلا في قضية الزواج بين الأقارب، تلك الظاهرة التي يحق لنا أن نصف مجتمعاتنا بأنها عاشقة لها من دون أن نظلمها، وزواج الأقارب وبحكم قوانين الوراثة قد يؤدي لحالات وإصابات مرضية يمكن ـ دون شك ـ تخفيفها والسيطرة عليها بواسطة خطط وبرامج وقائية ثبت نفعها في بقاع عديدة من العالم ولو على المدى البعيد.

● التشخيص قبل الولادة

لقد انعكس التطور الطبي التقني والعلمي على مجال المخبر في الطب أيضاً وبشكل لاغبار عليه، فلقد أصبحت الاختبارات التي نجريها ونعرفها اليوم غير تلك التي درسناها، والتي سيأتي بها الغد غير ماهي عليه اليوم، إن السرعة في إنجاز التحاليل والدقة والنوعية التي نتمتع بها كلها تساير ـ وبدون مبالغة ـ عصر السرعة الذي نعيشه، ولم يقتصر تطور المختبر الطبي على الطفل أو الكبير بل تعدى ذلك ليصل الجنين في رحم أمه، حيث أن هناك وسائل تشخيصية وحتى علاجية جعلت الجنين ينال حقوقه من التطور العلمي، فالتشخيص قبل الولادة هو حقيقة واقعة الآن، وهو بتطور مستمر، أما العلاج داخل الرحم فإن ما نحلم به هو أكثر مما بين أيدينا في الوقت الراهن.

● التقنيات المساعدة

يطل الوليد ليرى النور خارج الرحم، وبإنتظاره وضعت برامج خاصة تسمح بكشف بعض الأمراض والحالات الشائعة، وبذلك يتسنى علاجها والوقاية من مشاكلها ـ بإذن الله ـ، ورغم ذلك فهناك أعراض وأمراض قد تحدث ولابد من التعامل معها، وقد يسرت التقنيات الحديثة كثيراً هذا التعامل، فأجهزة التنفس الاصطناعي قد جعلت كثيراً من الحالات الميؤوس منها سابقاً، حالات قابلة للشفاء ـ والحمد لله ـ يساعدها في ذلك العلاجات الأخرى والوسائل المساعدة، مثل التغذية الوريدية الكاملة التي حلت مشاكل لايستهان بها.

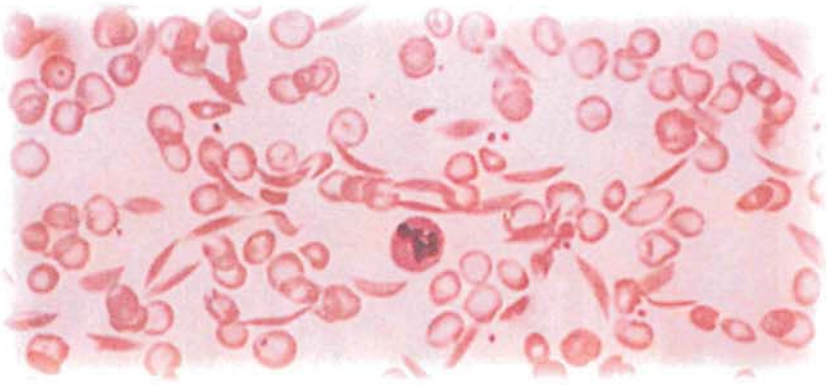

● أنيميا الخلايا المنجلية، أحد أمراض انحلالات الدم.

● الخداج

هناك حالات كثيرة لولادة الجنين قبل أن يتم فترة الحمل الطبيعي ٣٧أسبوع، مما يجعل هذا الوليد يحتاج إلى عناية أكبر حفاظاً على حياته. وقد ساعدت التقنيات الحديثة مثل حاضنات الأطفال ناقصي النمو في إنقاذ كثير من الاطفال الخدج. وسيتم تناول هذا الموضوع في مقال منفصل.

● الأمراض

هناك أمراض يتداول أسمها القاصي والداني منها ما هو حديث، ومنها ما إرتبط بتاريخ البشر بذكريات أليمة ولازالت له صولة وجولة، ومن هذه الأدواء نذكر مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) وداء السل (التدرن) والربو، والفشل الكلوي، واليرقان، وإنحلالات الدم، والأمراض المناعية ، وكلها محطات تستحق التوقف عندها، سواء للتزود بثقافة نوعية حولها أو للوقوف على مدى التطور التشخيصي والعلاجي الذي وصل إليه الطب بصددها.

● زراعة نخاع العظام

لقد كانت هناك قفزات كبرى في النواحي العلاجية بالتأكيد، وكمثال عليها ستتعرض مقالات هذا العدد لزراعة نخاع (نقي) العظم التي احتلت موقعاً مميزاً في علاج العديد من أمراض، والتي أعطت على الأقل الشفاء لحالات إستعصت على غيرها.

● طفل الأنابيب

وختاماً لابد لنا أن نذكر أن الذرية الصالحة هي من النعم التي أعطاها الله سبحانه للإنسان، وعلينا أن نسخر علومنا في سبيل تقديم حلول مقبولة شرعاً للذين تواجههم صعوبات في الإنجاب بسبب ما، لقد كان طفل الأنابيب حلاً في كثير من الحالات ـ والحمد لله ـ ولذلك سنعرج عليه وعلى تقنياته الحديثة والتي تتطور بشكل مميز بحيث أصبحت نتائجه الإيجابية أفضل من السابق بكثير، وأصبح يعول عليه بشكل متزايد في مجال طب العقم وعدم الانجاب .

● خاتمة

إن الأمر أولا وأخيرا يصب في مجال صحة الإنسان، ومادامت سعادة الإنسان هي ما نتوخاه، فإننا نرفع أيدينا بالدعاء ونقول ﴿وقل ربي زدني علماً﴾[طه:١١٤] والله من وراء القصد .

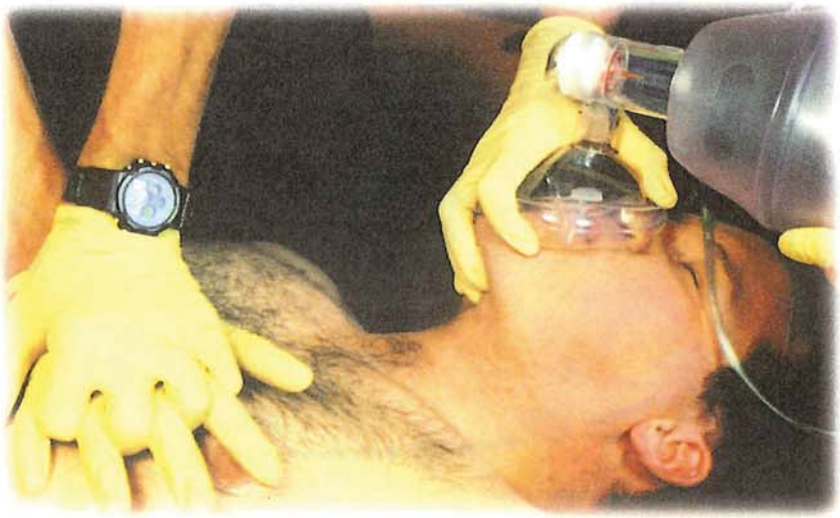

● أجهزة التنفس الاصطناعي ساعدت ـ بإذن الله ـ في شفاء الكثير من الحالات الميؤوس منها سابقاً .